

الباحة .. الحرفة اليدوية تروي كفاح أجيال



خلال المناسبات الكبيرة وأثناء تادية العروض التي تشتهر بها المنطقة إلى جانب عرضها في مجلس الضيف بالمنزل للتباهي بها والتفاخر بجودتها أو قدمها. ومن الملفت للزائر في الأسواق والمحلات الشعبية بالمنطقة هي تلك الرائحة النفاثة لمادة القطران أو ما يعرف بالشوب الذي يعمل عدد من الحرفيين بصناعته ويستخرج من أشجار السمر المنتشرة بكثرة في المنطقة ، وتلقى هذه الصناعة رواجاً كبيراً وهي مادة ذات لون أسود وتستخدم في طلاء الأبواب والنوافذ في البيوت القديمة كما ينتفع بها أحياناً في علاج الإبل والأغنام لعلاجها من الأمراض الجلدية.

وتبرز في منطقة الباحة

وإصلاح الأسلحة التقليدية وأسلحة الصيد وصقل الجنابي وتصميم القلائد والمشغولات الفضية وغيرها من الصناعات الأخرى التي تستوقف الزائر للأسواق والمحلات الشعبية بالمنطقة.

وتعد الجنبية من أهم الحرف والصناعات المعدنية بالمنطقة فهي من أقدم الأسلحة التي استخدمها الإنسان في الباحة وهي عبارة عن آلة حادة تثبت على مقبض خاص وتتنوع بتفاوت سعرها ، حيث يصل سعر بعضها إلى مئات الآلاف وهذا النوع له مواصفات خاصة لا يعرفها سوى ذوو الخبرة وتميز بالنقوش والزخارف الفضية ، وتبرز استخدامات الجنبية في احترام الرجال بها منذ القدم وحتى اليوم وخاصة

الباحة : واس

من عبق الماضي ، وعمق التاريخ ، وقوة الإنسان تتناثر العديد من الأسواق الأسبوعية والمحلات الشعبية في منطقة الباحة ، وترينا لوحات فنية خالدة ومتناثرة في جميع أرجائها سراً وتهامة وبادية لتروي كفاح وإصرار ابن الباحة على الصمود والبقاء ، حيث تزخر هذه الأسواق والمحلات بالعديد من الحرف اليدوية والصناعات التقليدية التي تجعل من الماضي أثراً خالداً لتربط إنسان الحاضر بماضيه.

ففي الباحة لا يزال الاهتمام كبيراً بالحرف اليدوية والصناعات التقليدية التي تلقى رواجاً بين مختلف شرائح المجتمع وذلك تشبهاً مع الاهتمام بالصرف اليدوية وتزامناً مع تطور الصناعة في مختلف مناطق المملكة ، حيث اشتهرت المنطقة منذ الأزل بالصناعات اليدوية نظراً لكثرة الحرفيين بها الذين ما فتئوا يزاوون حرفهم كمورد رزق لهم إلى جانب اهتمامهم بالمحافظة على هذا التراث من الأندثار.

وتنتشر في المنطقة العديد من الصناعات التقليدية مثل صناعة الفضييات والخناجر والسيوف والدباغة والفخار والخشب والخصوص إضافة إلى صناعة استخراج القطران وزيت السمسم



وغيرها من الحلي التي يصنع معظمها من الفضة أو النحاس أو الأحجار الكريمة.

وما أن تتجول في الأسواق الشعبية في قطاع تهامة الباحة حتى ترى من يشتري ويباع وبكميات كبيرة من زيت السمسم الذي تنتشر معاصره التقليدية هناك بحيث تتكون المعصرة من حوض يوضع بداخله السمسم وبه عمود يقوم الجمل بتريكه في مسار دائري ، ويتميز زيت السمسم بكثرة الإقبال عليه من داخل المنطقة وخارجها وذلك لجودته حيث يستخدم للعلاج ولتزييت الشعر إلى جانب وضعه على بعض الأكلات الشعبية بدلاً من زيت الزيتون أو السمسم.

ولم يغفل الكثير من الحرفيين بمنطقة الباحة عن أهمية الأثاث المنزلي فقد اهتموا بصناعة الأدوات الخشبية مثل كراسي النوم الخشبية / القعد / المقاعد الصغيرة والصحاف وأواني الطعام والأدوات الزراعية مثل مصرات الأرض إلى جانب صناعات الخوص التي تتكون من الطفي المستخدم من نخيل الدوم ويصنع منه أنوات حفظ الطعام والزناجيل والسجادات والمباسط بمختلف أحجامها والمراوح التي يتم تزيينها بالرسومات والزخارف والأنواع المختلفة التي تضيف عليها رونقاً وجمالاً.

وضעה في أفنية المنازل. وتستهوى صناعة الفضيات الكثير من زائري وزائرات الأسواق والمحلات الشعبية بالمنطقة نظراً لتنوع منتجاتها وجمال مظهرها فكانت من الصناعات الرائجة قبل توفر المصوغات الذهبية ولكنها على نطاق ضيق ، وينتج من هذه الصناعة العديد من أنواع الحلي مثل القلائد والروادع المستخدمة في زينة المعصم والمعصد لزينة العصد والحجول وهي أساور غليظة والخلخال المستخدم لزينة الكاحل والشرح وهو المستخدم لزينة الصدر والخرص لزينة الأذن والمخنق لزينة العنق والمرية وهي أقراص فضية تتخللها حبيبات الأحجار الكريمة والشعالي والأساور والخواتم

صناعة الجلد التي تعد من الصناعات اليدوية المهمة حيث يصنع منه الأحزمة وقرب الماء وأدوات الرقصات الشعبية مثل المسبت الذي يحشى فيه الرصاص وغيرها من الصناعات الجلدية الأخرى التي عادة ما تصنع في البيوت.

وتمثل الصناعات الفخارية جزءاً مهماً من الصناعات التقليدية بالمنطقة فتصنع منها المباخر وجرات المياه وفناجيل القهوة والكاسات والأواني التي تستخدم جميعها للأكل والشرب وحفظ الطعام والمياه ، وتعد صناعة الفخار من الصناعات الرائجة التي ما زالت تستخدم حتى يومنا هذا خاصة ما يعرف بجرة الماء وهي الوسيلة التي تستخدم قديماً لتبريد المياه عبر



الحرف اليدوية في الباحة . عبق الماضي وعمق التاريخ وقوة الإنسان

الباحة - أس: من عبق الماضي وعمق التاريخ، وقوة الإنسان يتناثر عديد من الأسواق الأسبوعية والمحال الشعبية في منطقة الباحة، وتربنا لوحات فنية خالدة ومناثرة في جميع أرجائها سراً، وتهامة، وبادية، لتروي كفاح وإصرار ابن الباحة على الصمود والبقاء، حيث تزخر هذه الأسواق والمحال بعديد من الحرف اليدوية والصناعات التقليدية التي تجعل من الماضي أشراً خالداً لتربط الإنسان الحاضر بماضيه. ففي الباحة لا يزال الاهتمام كبيراً بالحرف اليدوية والصناعات التقليدية التي تلقى رواجاً بين مختلف شرائح المجتمع، وذلك تمسحاً مع الاهتمام بالحرف اليدوية وزامناً مع تطور الصناعة في مختلف مناطق المملكة، حيث اشتهرت المنطقة منذ الأزل بالصناعات اليدوية، نظراً لكثرة الحرفيين بها الذين ما فتئوا يزاوون حرفهم كمورد رزق لهم إلى جانب اهتمامهم بالمحافظة على هذا التراث من الأندثار. وينتشر في المنطقة عديد من الصناعات التقليدية مثل صناعة الفخريات، والخناجر، والسيوف، والدباغة، والفخار، والخشب، والخص، إضافة إلى صناعة استخراج القطران، وزيت السمسم، وإصلاح الأسلحة التقليدية، وأسلحة الصيد، وصقل الجنابي، وتصميم القلائد، والمشغولات الفضية وغيرها من الصناعات الأخرى التي تتوقف الزائر للأسواق والمحال الشعبية في المنطقة. وتعد الحنية من أهم الحرف والصناعات المعدنية في المنطقة، فهي من أقدم الأسلحة التي استخدمها الإنسان في الباحة، وهي عبارة عن آلة حادة تثبت على مقبض خاص، وتنتوع بتفاوت سعرا، حيث يصل سعر بعضها إلى مئات الآلاف، وهذا النوع له مواصفات خاصة لا يعرفها سوى ذوي الخبرة، وتتميز بالنقوش والزخارف الفضية، وتبرز استخدامات الحنية في احترام الرجال بها منذ القدم حتى اليوم، خاصة خلال



معرضات تراثية من الأواني والمستلزمات في الأسواق الشعبية في الباحة.

المناسبات

الكبيرة وأثناء تأدية العروض التي تشتهر بها المنطقة إلى جانب عرضها في مجال الضيف بالمنزل للنباهي بها والتفاخر بجودتها أو قدمها ومن اللافت للزائر في الأسواق والمحال الشعبية في المنطقة هي تلك الرائحة الفاتحة لمادة القطران أو ما يعرف بالشوب الذي يعمل عدد من الحرفيين بصناعته، ويستخرج من أشجار السمر المنتشرة بكثرة في المنطقة، وتلقى هذه الصناعة رواجاً كبيراً، وهي مادة ذات لون أسود، وتستخدم في ملاء

الفخارية

جزءاً مهماً من الصناعات التقليدية في المنطقة فتصنع منها المباخر، وجرات المياه، وفناجيل القهوة، والكاسات، والأواني التي تستخدم جميعها للأكل، والشرب، وحفظ الطعام، والمياه، وتعد صناعة الفخار من الصناعات الرائجة التي ما زالت تستخدم حتى يومنا هذا، خاصة ما يعرف بجرة الماء، وهي الوسيلة التي تستخدم قديماً لتبريد المياه عبر وضعها

والنوافذ في البيوت القديمة، كما يتنقح بها أحياناً في علاج الإبل والأشنام لعلاجها من الأمراض الجلدية. وتبرز في منطقة الباحة صناعة الجلد التي تعد من الصناعات اليدوية المهمة، حيث يصنع منه الأحزمة، وقرب الماء، وأدوات الرقصات الشعبية مثل المسبب الذي يحشى فيه الرصاص، وغيرها من الصناعات الجلدية الأخرى التي عادة ما تصنع في البيوت. وتمثل الصناعات

في أفنية المنازل. وتستوى صناعة الفخريات كثيراً من زائري وزائرات الأسواق والمحال الشعبية في المنطقة، نظراً لتنوع منتجاتها وجمال مظهرها فكانت من الصناعات الرائجة قبل توافر المصوغات الذهبية، ولكنها على نطاق ضيق، وينتج من هذه الصناعة عديد من أنواع الحلبي مثل القلائد، والروادع المستخدمة في زينة المعصم، والمعصم لزينة العنق، والحجول، وهي أساور غلظية، والخلفال المستخدم لزينة الكاحل، والشرح وهو المستخدم لزينة الصدر، والخرص لزينة الأذن، والمخرق لزينة العنق والمريه وهي أقراص فضية تتخللها حبيبات الأحجار الكريمة، والشمالي، والأساور، والخواتم وغيرها من الحلبي التي يصنع معظمها من الفضة أو النظار أو الأحجار الكريمة. وما أن تتجول في الأسواق الشعبية في قطاع تهامة الباحة حتى ترى من يشترى وبيتا، ويكميات كبيرة من زيت السمسم الذي تنتشر معاصره التقليدية هنا، بحيث تكون المعصرة من حوض يوضع بداخله السمسم وبه عمود يقوم بالتحريك في مسار دائري، ويتميز زيت السمسم بكثرة الإقبال عليه من داخل المنطقة وخارجها، وذلك لجودته، حيث يستخدم للعلاج وتزييت الشعر إلى جانب وضعه على بعض الأكالات الشعبية بدلاً من زيت الزيتون أو السم. ولم يغفل كثير من الحرفيين في منطقة الباحة عن أهمية الأثاث المنزلي، فقد اهتموا بصناعة الأدوات الخشبية مثل كراسي النوم الخشبية، القعد، والقواعد الصغيرة، والصحاف، وأواني الطعام، والأدوات الزراعية مثل محركات الأرض إلى جانب صناعات الخوص التي تتكون من الطعش المستخدم من نخيل الدوم، ويصنع منه أدوات حفظ الطعام، والزنايبيل، والسجادات، والمباسط بمختلف أحجامها، والمراوح التي يتم تزيينها بالرسومات، والزخارف، والألوان المختلفة التي تضفي عليها رونقاً وجمالاً.

صناعة السجاد في البوسنة تبحت عن الأسواق العالمية



صناعة السجاد في البوسنة شكل من أشكال المحافظة على التقاليد («الشرق الأوسط»)

والرسوم في السجاد البوسني العتيق هي لوحات في حد ذاتها، سواء قرشت في الأرض، أو غلقت على الجدران».

وعمّا إذا كانت دراستها لفن الرسم أثرت على توجيهها ومساعدتها للإضافة النوعية والمعاصرة للسجاد في شكله العتيق، قالت أميلا: «هناك أشياء لا يمكن تغييرها، بل يجب المحافظة عليها كما هي. وهناك ما يمكن أن نعتبره إضافة نوعية أو لمسة جديدة أو إضافة عصرية مثل الحقائق اليدوية واللغات (الشالات)

في دعم الاقتصاد الوطني كرافد للتجارة الخارجية، أو محليا على مستوى محاربة الفقر وتحسين أوضاع الأسر المعوزة».

أما الرسامة أميلا سمايوفيتش، وهي أيضا صاحبة مصنع للسجاد، فقالت: «فتحت المصنع عام 2005 لتحقيق رغبة دقيقة في الجمع بين الفن التشكيلي وصناعة السجاد. ولقد لاحظت تقريبا كبيرا بين الفنّين، وكزست رسالتي للماجستير حول هذا الأمر. فالرموز والصور

المغرب العربي الكبير، مسجاد القيروان (تونس) وتلمسان (الجزائر) والرباط ومديونة بالدار البيضاء (المغرب).

الباحث الدكتور أسعد دوراكوفيتش شرح لـ«الشرق الأوسط» فقال: «كانت صناعة السجاد منتشرة في كل بيت، الأمر الذي لم يدفع الناس نحو التفكير في إنشاء أسواق ومناجر لبيع السجاد البوسني». وتابع «حتى وقت قريب جدا لم يكن ثمة تفكير اقتصادي يعتبر السجاد سلعة اقتصادية يمكنها الإسهام

سراييفو، عبد الباقي خليفة

تعود تقاليد صناعة السجاد اليدوي في البوسنة إلى 3500 سنة خلت، وفق أكثر المراجع التاريخية حول الصناعات التقليدية في البلاد. ولكن رغم هذا التاريخ العريق، الذي استفاد من تجارب الثقافات التي تناوبت على حكم البلقان في هذا المجال، لم تتحول هذه الصناعة الحرفية الجميلة إلى سلعة تجارية معروفة دوليا، كحال السجاد الإيراني أو التركي، أو أيضا سجاد

المزخرفة والقفازات وغيرها». وكشفت عن أفاق جديدة لصناعة السجاد بإضافة أصناف جديدة عبر الاستعانة بالكمبيوتر، الذي يساعدها كثيرا في توظيف الألوان والأشكال المختلفة. ثم أردفت: «كانت رسالتي للماجستير حول السجاد البوسني، وكذلك بحثي للدكتوراه الذي أعده الآن. ولقد تلقيت الكثير من الجوائز في هذا الشأن، واليوم نسعى لتطوير صناعة السجاد ليكون له انتشار كبير وسريع في العالم، وبالتالي، نبحت عن أسواق دولية لترويج السجاد البوسني القادر على المنافسة».

وبعد اطلعنا على عدد من النماذج، قالت أميلا سمايوفيتش: «صناعة السجاد ليست شكلا من أشكال المحافظة على التقاليد فحسب، رغم أهمية ذلك من الناحية الثقافية والحضارية، بل هي أيضا مورد مادي مهم، يستفيد من التصدير إلى أسواق الخارج. وهذا ما كشفتته حركة السياحة في بلادنا، فالذين يزورون البوسنة يُبدون دهشتهم لهذه الصناعة التي ظلت إلى عهد قريب جدا من الأعمال المنزلية المكتفية بتوفير احتياجات الأسرة لا أكثر».

وأعربت أميلا، من ناحية ثانية، عن ألمها لتراجع صناعة السجاد على مستوى الأسرة البوسنية بعد ظهور السجاد الصناعي (الآلي) الرخيص،

وقلة اهتمام الأجيال الجديدة من الفتيات ولا سيما القاطنات في المدن والكثيرات من الريفيات بهذه الصناعة الحرفية التي كانت تعلم في المنازل كما يعلم الطبخ وإعداد الطعام. ثم أُننت على زوجها الذي شجعها على فتح المصنع وتوظيف نساء معظمهن من نساء سربيرينتسا التي نُكبت عام 1995 بمذبحة فظيعة راح ضحيتها أكثر من 8 آلاف نسمة من المدنيين الأبرياء. كما أشادت بالمساعدات التشجيعية من قبل بعض المؤسسات الثقافية، وعلى رأسها المشيخة الإسلامية ممثلة برئيس العلماء في البوسنة الدكتور مصطفى تسيريتش.

وعن أبرز زبائن المصنع الحاليين أجابت: «المساجد، ولا سيما العتيقة منها، تجهز أرضيتها بالسجاد الذي نعهده في المصنع. كما يرغب كثيرون في اقتناء قطع من السجاد لإهدائه، إلى الأصدقاء ولا سيما من غير البوسنيين، فليس هناك هدية أثنى وأطول عمرا من السجاد اليدوي».

وتتراوح أسعار السجاد المنتج حاليا في مصنع أميلا بين 500 يورو و1500 يورو، وغالبا تمثل المساحة وقيمة القطعة القاعدة الأساسية في تحديد الأسعار. وعن الفترة التي يحتاجها إنتاج قطعة السجاد البالغ مساحتها 6 أمتار مربعة فتبلغ نحو مدة 4 أشهر، إذا كان جهدا فرديا.